عـفرا

باسل الرفايعة

(إشارة)

ألا هـل أتى سـلْمـى حـليـلَهـا
عـلى مـاءِ عِـفْـرا فـوقَ إحـدى الـرواحـل
عـلى نـاقـةٍ لم يـضـربِ الـفـحـلُ أمّـهـا
مـشـذَّبـةٌ أطـرافُـهـا بـالمـنـاجـلِ

فروة الجُذاميّ

(أمَّا بعد)

«والضُّحى»
والجنوبِ إذا نَفَضَ النومَ
عن جفنِهِ وصحا.
وإذا الريحُ هبَّتْ خماسينَ
حتَّى تدورَ الرَّحى،
وتدورَ الرَّحى.
إنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ
فمن أيِّ فجرٍ
سيطلعُ هذا الضُّحى؟

(قال الراوي)
كانت الأرضُ باردةً..
والمراعي تُشاكسُ قطعانها،
وتُبلِّلُ قحطَ الصباحِ..
بضحكتها الناعسهْ.
والصَّحارى...
تُسرِّحُ رعيانها...
والبناتُ الحزيناتُ..
يغزلنَ أحلامهنَّ
ويحطبنَ من شَجَرات الهوى...

حزمةً يابسهْ.
كانت الأرضُ مكتظَّةً..
بالصبايا وبالعسلِ الجبليِّ،
وتهجسُ بالغائبين
فتدمعُ مقلتها البائسهْ.
ثمَّ جاءت على الناسِ...
في سنة التمر عاصفةٌ..
وتوالت على إثرها..
سنواتٌ من الجمر..
فاحترقَ الزرعُ فيها..
وكانت سنيناً عجافا.
وتوالت قرونٌ ميبَّسةٌ...
حملتها المفاوزُ وهناً على وهنها..
فانحدرتِ - أيا شتوةَ البائسين -
من الغيم ماءً سلافا.
جاءنا بعدَ ذلكَ..
رومٌ وبومٌ وأغربةٌ،
فرأى العارفون بأنْ
ينحرَ الفقراءُ قرابينَهم

فلعلَّلكَ يا ربُّ
تهمي على الرومِ
سمّاً زعافا.
ويدورُ الزمانُ..
يمورُ المكانُ..
تكونُ البدايةُ صفرا...
تكونُ النهايةُ صفرا...
فتطلعُ من شقِّ
تلكَ الخرائبِ عفرا(*)

(قال الشاعر)
وعفرا غمامةُ رملكَ يا قلبُ..
تنسلُّ من ضلعكِ الأيسرِ الآنَ.
تخرجُ عاريةً..
من جبال الشراهْ.
وتسري مع الحاصدين
إلى حرثهم،
وتغني الرُّبى...
مثلَ شبَّابةِ العصرِ
بينَ شفاهِ الرعاهْ.

توضَّأ منها السحابُ
فطافتْ بكلِّ القرى اليابساتِ،
تدرُّ الحليبَ..
إذا جفَّ ضرعُ الشياه.
وتضرعُ عند يباسِ السواقي
«يا أمْ الغيث غيثينا
بِلِّي اشْويْشهْ راعينا
ياأم الغيث يا دايمْ
بِلّي زرعنا النايمْ»
لذا سأغنيكِ..
حينَ تضجُّ الأغاني بجوفي،
وحين يُكفِّنُ ثلجُ الطفيلةِ خوفي،
وحينَ يُعرِّي راعفةً..
بدماءِ الجذاميِّ(*)...
خيلكِ مُسرجةٌ بجنوني
وصوتكِ يمنحُ..
تلك البراري خيولا.
وأشهدُ أني عرفتكِ عذراءَ..
لو فكَّت الريحُ أزرارَ أثوابها..
ستظلُّ بتولا.

(قال الجُذاميّ)

وسأوصيكِ عفرا..
وصيَّةَ من شقَّه الموتُ غورينِ،
واهتزَّت الأرضُ فيه..
تُدمدمُ زلزالَها.
سأُحدِّثُ شاهدتي..
قبلَ أن يأكلَ الدودُ
هذي العصا وتشيخَ الشقوقُ
بوجهي لتخبرَ أحوالَها.
وسأوصيكِ بالجائعين..
بأن تحفظيهمْ..
من الرومِ والبومِ واللبؤاتِ
إذا جوَّعَ العِلْجُ أشبالَها
سأُحدِّثُ كيفَ استباحوكِ
قبلَ نضوجِ الكروم،
وأقصوكِ عني فجاجا.
ولأني الجذاميُّ..
ما كنتُ يوما
فؤاداً خداجا.
ولأني أحبُّكِ...
يا شتوةً خلَّفتها التشارينُ تبكي..
أضأتُ لكِ الجرحَ..
في الظلماتِ سراجا.
فبأيِّ اللغاتِ..
أخبِّيءُ حزني وأخفي شتاتي...
وكيفَ أُحوِّطُ روحي
عليكِ سياجا.
فلعلَّك عفرا...
ستدرينَ يوما..
بأنَّكِ حينَ كشفتِ إلى الصرحِ
ساقيكِ..
كان الذي تحتَ رجليكِ..
صرحاً زجاجا.

(قالت عفرا)

«وما قتلوه وما صلبوه»
ولكنَّه يتدلَّى كعنقودِ داليةٍ..
في المدى
كانَ يضحكُ لما بكته الوحوشُ،
ويبسمُ لما رمته النعوشُ،
فكانَ الحياة
وكانوا الردى
كانَ (أرنونُ)(*)
يلتفُّ والأردنيُّونَ يبكونه
والصدى ـ لو درى الناسُ ـ
ذاتُ الصدى
كانَ يهمسُ: يا ناقتي
هل أتاكِ هوى الأردنيِّ
إذا مسَّهُ القرحُ
ردَّت أكفُّ الصغارِ
رماحَ العدا.

(قال الشاعر)

لم تعدْ للنساءِ أنوثتهنَّ،
ولم تعد الأمسياتُ..
مُضمَّخةً بالحضورِ الندِيْ.
فبأيِّ المواعيدِ ـ سيِّدةَ الطيِّبين ـ
أجيئكِ والوردُ يذبلُ..
بينَ يديّ.
وفحيحُ المدائنِ..
يُقصي الخطى والثواني تئنُّ
«وأنقعُ موتي وأشربه»
والفؤاد القتيل صبيٌّ.
وأنا ملكُ الماءِ
أعطشُ حبَّاً... وعفرا
تصبُّ لغيري النبيذَ الشهيَّ.
شقَّني الرومُ موتين سيِّدتي..
وسيوفُ بني العمِّ خائنةُ
وتؤلِّب جيشَ الظلامِ عليّْ.
فأصيخي إلى وحيِ..
هذي القصائد..
توحي إليك خبايا الزمانِ،
فليسَ سوايَ النبيُّ النبيّْ.
وإليَّ بشلَّالِ عينيك يغسلني
من جنابةِ هذا البغاءِ..
إليَّ إليّْ.

(قالت الأرض)
أنا أمّكم يا عيالي . .
وأُرضعكم لبن الصافناتِ
أُقمِّطُ أعضاءكم . .
بعروقِ الدوالي .
وأحدبُ كالقبراتِ عليكم . .
أُخبِّئكم عن عيونِ الحسودِ . .

وبؤسِ الليالي .
ولو ناطحتْ مخرزَ الرومِ كفِّي
سأبقى إذا اشتدَّ
حرُّ الفيافي . . .
أُظلِّلكم بظلالي .
فيا أردنيونَ
لا تستجيروا بغيري

سأنفخُ في الصورِ عفرا
وأحشركم في رمالي .
وإنْ شرَّد الناسَ
أبناءُ آوى . .
فيا أردنيونَ لا تحزنوا . .
ادخلوا جنَّتي
وادخلو في جبالي .

(*) عفرا: عين ماء في شمال الطفيلة بجنوب الأردن .

(*) الجدامي: فروة الجدامي، وكان حاكماً على معان وما حولها . وقد أسلم في السنة السادسة للهجرة فلّما علم الروم بإسلامه صلبوه عند ماء (عفرا) فكان بذلك أول شهيد من بلاد الشام يستشهد بسبب إسلامه

(*) أرنون: الاسم القديم لوادي الموجب ـ جنوب الأردن .

صدر حديثاً

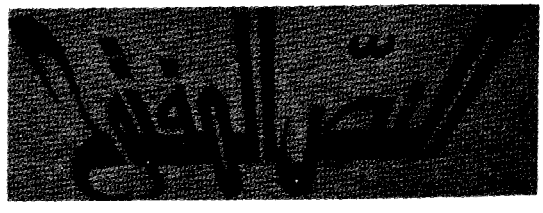

د . مصطفى ناصف
د . كمال ابوديب
د . يمنى العيد
د . وهب رومية
د . جليل كمال الدين
د . فهد عكام
د . شكري عزيز الماضي
د . محمد رحومه
د . زاهر الجيزاني
د . عبد الودود سيف

بالكتابة الشعرية يحاول المقالح، كما يحاول غيره من الشعراء المحدثين، إقامة هذا الحضور، يحاوله في رمز تعبيري يدل على هذا الماضي ويحيل عليه . لكن الكتابة الشعرية هذه هي بحث عن خصوص لها، هو قولها وزمنها، موتها وحياتها، إنه فعل حدوثها، أي فعل محيئها من اللاقول إلى القول، من الصمت إلى النطق .

د . يمنى العيد

. . وتتسربل الصور (ذاتها) في غلالة شفافة من البوح ولغة النجوى الخافتة الهمس المتبادل بين النفس وذاتها، وبينها وبين مكوّنات الطبيعة في لحظة نزوع إلى التواصل، بل التناغم، بل ما يشبه الحلول بين الذات وبين هذه الطبيعة النقية المغسولة . إن الطبيعة المغسولة، كنز الضوء، والتراب ـ المرايا، تجسّدات صافية للنقاء الجديد والصفاء اللذين تصلها الروح في رحلة خروجها من عكر العالم الذهني العقائدي إلى مرايا الحضور الفردي في العالم والانغمار في ثرائه .

د كمال أبو ديب

منشورات دار الآداب